

طرق على (مقهى الأبواب الصامدة)

دلفت إلى مكتبي صامتا، ثم تناولت من على الطاولة ، مجموعة قصصية بعنوان (مقهى الأبواب الصامدة) للقاص أ. إبراهيم الطويل.

نظرت إلى الغلاف المرسوم عليه بآب خشبي تناثرت عليه مسامير كنا نسميها في طفولتنا نجوما . عنوان المجموعة فيه ملحم سوريانى وهو أنه يشعر المتلقي أن هناك أبوابا ناطقة غير هذه الأبواب الصامدة، المعروف هو أن الأبواب كلها صامتة.

شدني شكل غلاف المجموعة التي تصفحتها وبدأت أقرأها على صوت سيمفونية (الصمت) ل بيتهوفن !! شدتني عبارة رشيقه في الإهداء الذي خص به السيد هاشم صاحب (مقهى السيد) الكائن في سوق القيصرية. تقول العبارة: يا ترى هل لأن الإبتسامة أنتي ؟ ولذا تبدو كل ابتسامة جميلة؟ في القصة الأولى (السكة) حنين البطل لحبيبة ماتت ، فجأة عند باب بيتها ليعيد ذكريات حلوة أصبحت مرة بعدها حرك الموت ملعقته في كأس ذاكرته. تكررت مفردة الصمت في القصة ثلاثة مرات ، لتأكد على اكتئاب مطبق يعانيه البطل.

في القصة الثانية (الروشن) أيضا استعادة ماض جميل لفتاة كانت تطل من الروشن لتنظر وتسمع عيسى الأحسائي وهو يغنى في حوي بيتهם . وكم شدتني هذه العبارة التي عنى بها شيخ المسجد (حتى لا نصبح ملائكة مقربين ، وببقى هو الشيطان الرجيم) !!

أما قصة (الروزنة) فهي تحكي مأساة امرأة احترفت الرقص في الأعراس الشعبية ، وكانت تحلم بالزواج من حجي صالح ذلك العجوز الثري ، لكن ابنته عبيدة هي من ظفرت به . ختم الكاتب قصتها بقوله: (سرقها النوم كما سرق الدهر عمرها)

طللت أتصفح ورق المجموعة حتى وقفت عند قصة (السيكل) تحكي قصة (دحيم) حارس مدرسة البناء البائس ، الذي أوقف سيكله فجأة (ليرفع سيجارته إلى شفتيه ليينفث دخانها في وجه الحياة التي لم تبتسم له ولو لمرة واحدة)

أما قصة (المدخنة) فنرى فيها أم يحيى الذي جاءت إلى (حارقة السادة) لتري ولدها مذبحة هاهو (الطفل غارق في دماء تفور من نحره كما الطفل الرضيع بكرباء)

قصص الطويل تمتاز بالجرأة ونبش المسكوت عنه . فما زالت قعقة رماح مجموعته الأولى (نقب رسيلو) لم تهدأ بعد !!

لذلك نراه في قصة (استكانة الشاي)

يقول على لسان صالح عم بنات زوجة أخيه الأكبر (مهدي) : وَ الحمد استبصرت وتحولت للمذهب السنى ،

ولهذا سأذهب للمحكمة الكبرى التي ستحكم بيننا في ميراث أخي.

أما قصة (أم خريسان) فأتركها للقارئ كي يستمتع بجمال خيالها وروعة وصفها. فالكاتب يكتب قصصه بأسلوب الواقعية النقدية. إلا هذه القصة فقد منج فيها الفانتازى بالواقعي بالمستحيل.

من خلال قراءتي للمجموعة تبين لي أن الكاتب يعاني (نوستالجيا) طاغية . فالحنين إلى الماضي هروب من الموت ، وليس من الحاضر فقط. ومعلوم أن الكاتب عموماً يعاني اغتراباً بين ذويه، لذلك ينشد إلى طفولته، لأنها البداية . وطفولة كل شخص هي طفولة الحياة نفسها !!

وقد أحسن الكاتب حين جعل عناوين قصصه عبارة عن اكسسوارات وأدوات البيت القديم والحرارة الشعبية مثل : الممحنة ، الفانوس ، المبخر وغيرها . وهذا ما أضاف جمالاً و وهجاً على المجموعة.

بعض القصص كان على الكاتب أن يتعمق في وصفها وإظهار فلسفتها الوجودية. مثل قصة الروزنة ، قصة السيكل.

ختاماً : لا أنسى أن أنهى أن المجموعة فيها بعض الأخطاء النحوية والإملائية والمطبعية. وهذا لا يخلو منه عمل بشري.

كما لا أنسى أن أبارك للصديق الأستاذ: إبراهيم الطويل صدور هذه المجموعة الجميلة.